الفصل الحادى عشر

الحجامة

مارس الحجامة منذ القدم البابليون والصينيون والمصريون لعلاج بعض الأمراض استخدموا خلالها كؤوسا معدنية وأشجار البامبو وقرون الثيران، وكان العلاج يتلخص فى امتصاص الهواء من داخل الأداة المستعملة ووضعها على الجلد، ممارسة أدّت لكاسات الهواء فيما بعد وتدرجت هذه الممارسة إلى علاج الدمامل وسحب الدم الفاسد بها ومن التقيحات المختلفة أيضا وتمارس الحجامة حاليا على مراكز الطاقة فى الجسم، وتقتضى ممن يمارسها معرفة الأوعية الدموية لممارسة فصد الدم من العروق، كما يمارس الكى أيضا على مراكز معينة و يجب أن يكون الطبيب الممارس لعمليات الفصد على دراية تامة بالتشريح ليعرف مسالك الأوردة وأوضاعها، وهذا ما سبقه المصرى إليه.

وتم حاليا تحديد مواضع الفصد فى أربعة وثلاثين وريدا: اثنا عشر فى الرأس، واثنا عشر فى اليدين، وثمانية فى الرجلين كعرق النساء، ثم وريد الكوع مع الزند، ووريد الأسيلم.

وقد ذكر المصرى القديم: «دليل الإنسان لكل مرض: يوجد عنده فى رأسه ٢٢ وعاء تسحب النفس إلى قلبه، وهى تعطى النفس إلى ذراعيه».

«وعاءان فى ثدييه هما اللذان يعطيان الحرارة إلى الشرج، ربما المقصود الشريانان تحت الترقوة، د.حسن كمال» «يوجد وعاءان فى فخذيه»، ووعاءان فى عضده، ووعاءان بمؤخرة رأسه، ووعائان فى جبينه، ووعاءان فى أنفه، ووعاءان فى أذنه اليمنى ووعاءان فى أذنه اليسرى. وكلها تتجه إلى قلبه وتتفرق فى أنفه وتجتمع فى دبره».

وترجع هذه النظرية إلى أكثر من ٦٠٠٠ عام، كما أشير إلى الحكيم نتر حوتب، وهو زمنيا أقدم من أمحتب.

العلاج بالحجامة

ويعتبر العلاج بالحجامة cupping، من أقدم السبل العلاجية الذى مارسه المصرى القديم، فقد عثر على بعض الدلائل على هذه الممارسة فى مقبرة توت عنخ آمون، كما تبرز النقوش الواردة على جدران معبد كوم أمبو التى تسجل بعضا من الأدوات الجراحية للمصرى القديم، كأسا تستعمل فى هذا الغرض، وقد عثر على بعض هذه الكؤوس فى المقابر وكانت هذه الكؤوس مزودة بثقب فى طرفها لمص الدم بالفم وسحب هذا الدم الفاسد من تحت الجلد وقد مارسه المصرى، ونقله عنه الكثيرون، منهم أهل جزيرة كريت والرومان، وتنقلت الممارسة حتى بلاد الهند والصين.

ومارس الأوروبيون هذا العلاج عن طريق ديدان معينة لسحب الدماء الفاسدة من الجسم.

وتمارس الحجامة الحالية بوضع كأس الحجامة على النقطة المستهدفة مدة تتراوح بين دقيقتين إلى أربع دقائق، وتكرر العملية حتى يحمر وينتفخ المكان المستهدف، ثم يشرط المكان ويمص الدم برفق.

واهتم الطبيب المصرى القديم بالتسمم الصديدى وعلاجه أيضا لأهميته فى تحقيق الشفاء، فقد أورد الطبيب أن الخراريج والدمامل هى نوع من التسمم الدموى الصديدى.

وعالج أيضا حالات التقيح والتجلط الدموى، واهتمامه بأمراض الدم وردت فى البرديات، ففى بردية هيرست سجل الطبيب الوصفات العلاجية لابعاد مرض الدم من أى عضو بالرجل أو المرأة، ولإزالة تكوين الدم الذى لم يكن قد تجلط، وعلاج لأى شىء يتواجد من نفسه. وهناك وصفة لإخراج أمراض الدم: ويقصد هنا الصديد الذى استعمل لإخراجه المواد القابضة مثل الكندر وبعض النباتات القلوية منعا للتسمم الصديدى الذى اقتنع الطبيب المصرى بأهمية علاجه، وكان الخراج فى مفهومه مرضا يندرج تحت مسمى التسمم الدموى الصديدى، وأن التقيح بصفة عامة هو مرض يصيب الأوعية الدموية، والعضلات، كما يعتبر التجلط الدموى والجروح وما ينتج عنها نوعا من التسمم.

ولإزالة الماء من الإفرازات، أوصى الطبيب بضمادة من خبز نبق كى يجف الجرح ولا يتقيح، وللدم الأكال بصل ودهن ثور.

وكانت الدمامل والخراريج تعالج باللبخات حتى تفتح، ثم يخرج محتواها بالطرق المختلفة حتى تشريط الجلد لإخراج المحتوى الضار من الدم، لقد اجتهد الطبيب المصرى فى قهر الألم والقضاء عليه بكل السبل الممكنة، وتوارث الكثيرون هذه المهمة وابتكر المبتكرون العلاجات المختلفة تحقيقا لنفس الهدف.

وفسر الطبيب المصرى المرض كنتيجة لما أسماه بالأخدو أى المادة المسببة للألم، واعتقد أن الأوعية هى التى توزع هذه المادة التى تنتقل من الأمعاء للأوعية الدموية ويتفاعل مع الدم فيتحول لصديد، وتحدث الحمى للمريض كنتيجة لهذا التفاعل وتتزايد ضربات قلبه، ويتحول الأخدو فى النهاية لجلطات دموية تتسبب فى مرض الأعضاء المختلفة، وهنا لا يتمكن الدم من تسهيل وظائف أعضاء الجسم. واعتقد الطبيب أن مصدر الأخدو هو براز المريض الناتج عن فائض الطعام.

لذا فإن عملية فصد الدم الفاسد من الأوعية الدموية قبل أن يتجلط هو نوع آخر من الوقاية من الأمراض venesection. ورد هذا المعنى فى حالة الأذن عندما ذكر الطبيب لعلاجها: «يجب عليك أن تقطع أحد جانبى الأذن حتى لا يتجمع الدم فى جهة واحدة، حذار أن تجعله يتقيح».

وقد أطلق على الجهاز الدموى «الجهاز الآدمى الموصل حيث تنشأ كل الأمراض».

وقد تمكن الطبيب المصرى من التمييز بين الشرايين التى تنقل الدم من القلب للأنسجة وبين الأوردة التى تنقل الدم للقلب. «هناك أوعية تخرج منه لكل عضو»، «يضع يديه على الرأس أو على اليدين، أو على المعدة، أو على الذراعين، أو على القدمين، فإنه بذلك يفحص القلب، لأن كل أعضائه تحتوى على أوعيته، إنه يتكلم عن طريق أوعية كل عضو».

ويصف الطبيب المصرى هنا الشرايين، فقد ذكر الشريان الصدغى وشريان مؤخرة الرأس والشريان الكعبرى، والأورطى، والشريان العضدى، وشريان ظهر القدم»، وقد أطلق على ما سبق «مبدأ سر الطبيب معرفة حركة القلب».

واللجوء للشربة والمقيئات مساو لعمليات فصد الدم من حيث تفادى انتشار الأمراض فى الجسم، إنه نوع من الوقاية والعلاج فى آن واحد.

وقد ازدهرت عمليات الحجامة وفصد الدم عند الإغريق فيما بعد على نطاق واسع تطبيقا لنظريتهم فى الأخلاط والأمزجة أى مزج العناصر الأربع فى الجسم وهى النار والهواء والتراب والماء، التى يرمز كل عنصر منها للطبيعة، فالنار هى الدم، والمرارة السوداء التراب، بينما البلغم هو الماء، والمرارة الصفراء هى الرطوبة.

وتحتوى كتب أبقراط وصفا دقيقا لممارسات فصد الدم، والكى، والحجامة تطبيقا لنظريته عن الأخلاط الأربعة والمقصود بها سوائل الجسم المختلفة وهى الدم، والمرارة الصفراء، والمرارة السوداء والبلغم. كما ذكر جالينوس أيضا عملية فصد الدم والحجامة، حيث اعتقد أن صحة الجسم تتوقف على التوازن بين هذه السوائل الأربعة، واعتقد أن كل سائل من هذه السوائل يرمز إلى عنصر من عناصر الطبيعة.

وجالينوس من مواليد عام ١٥٠م فى مدينة برجاموم، وهو من حدد أن الأعصاب تبدأ من المخ، وتعرف على العضلات التى سبقه المصرى فى معرفتها كما ورد على تماثيله ونقوشه المختلفة، واعتبر متخصصا فى التشريح فى مدينة الأسكندرية.

وقد اتخذ القائمون بالعلاج بتسـريب الدم أو الفصد من هذه النظرية تفسـيرا علميا لطريقتهم العلاجية حيث اعتقدوا أن تسـريب كمية من دم المريض يمكن أن يحقق التوازن المطلوب الذى ذكره أبقراط، مما يضمن بالتالى تحقيق الشفاء. فالحجامة تفيد من ناحية تنقية الدم من الأخلاط وكرات الدم الهرمة التى تعوق تدفقه لخلايا الأعضاء المختلفة.

وقد حدد أبقراط ٤٦٠ – ٣٧٧ م الذى نشـر عملية فصد الدم خلال العصر الكلاسـيكى، أن فصد الدم يحتل المكانة الأولى لمداواة قائمة طويلة من الأمراض بدأ من الصرع والسكتة الدماغية، إلى الالتهاب الرئوى وآلام الأعضاء المختلفة للجسم. وكانت العملية تجرى على الذراع وغيره من أجزاء الجسم المتصلة بالعضو الملتهب أو الذى يشكو الألم.

وتعمـل الحجامة حاليا على النقاط الخاصة بردود الأفعـال التى تحدث دورة تبدأ من مركز الإحساس المتواجد بالإصبع وتنتهى بانكماش العضلة، وتعرف هذه الدورة بقوس الفعل المنعكس، ومعظم الأفعال المنعكسة لا إرادية.

ويتولى الحبل الشوكى ترجمة الإشعارات الحسية التى يستقبلها إلى إشعارات حركية يرسلها إلى العضلات فتنكمش أو تنبسط. كما يرسلها أيضا للغدد فتكثر أو تقلل من إفرازها.

وإحـداث التوازن الداخلى للجسـم هو هدف العلاجات المختلفة والـذى تتحكم فيه أجهزة الأعصاب، الجهاز العصبى السمبثاوى النابع من الحبل الشوكى وأجزاء الجسم المختلفة والخاصة بحركة الأحشـاء، والجهاز العصبى الباراسمبثاوى الذى يعمل بين المخ وأعضاء الجسـم كالعين والغدد اللعابية والقناة الهضمية والمثانة.

والحجامة أسلوب علمى حديث للتخلص من الألم طبقا لنظرية برومرز؛ فهناك نقاط بالجسم ذات مؤثـر مسـكن على الأعضـاء، ويتم هذا بأن تحـرك الغدة النخامية خلايا الجسـم لإنتاج مادة الأندروفين المخدرة التى تعرف كمادة كيميائية تأثيرها مشـابه للمورفين، وهو مسـكن يمنع الإحساس بالألم ويزيد من القدرة على تحمله.

وقـد ذكـر د.هانى الغـراوى فى كتابه عـن الحجامة: «يوجد أكثر مـن مائة موصل عصبى تحت الدراسـة حتى الآن يعتقد أن لها علاقة بما يحدث من تسـكين الألم فى حالة الحجامة مثل المورفينات الداخلية والأندوفينات، وهو الاسـم الـذى يطلق على كثير من هذه المواد، والتى تفرز على شـكل جزء طويل من البتاليبوبروتين يتكون من ٩١ حمضاً أمينيا يسـمى بيتا إندورفين الـذى يقوم بالدور الرئيسـى فى تسـكين الألم، وعنـد حقنه فى الوريد يكون له مفعول مسـكن سـريع، ويوجد نوع آخر من الإندورفينات يسـمى ألفا إندورفين، ولكن مفعوله المسـكن أقل إذا قـورن بالبيتا إندورفـين. وتعرف الإندورفينات التى تفرز من الغدة النخامية بالإنكافالين. وطبقا لنظرية برومرز، فإن الإنكافلين المفرز يقوم بالالتحام مع مستقبلات الألم فى النهايات العصبية،

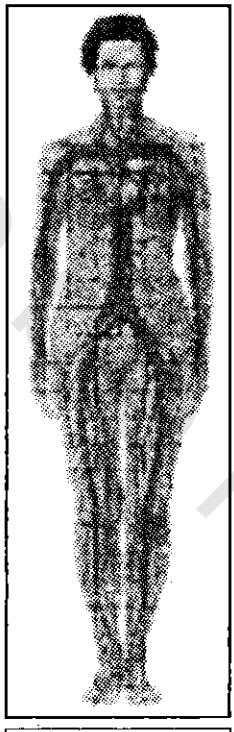

الجهاز العصبى للجسم

ممـا يـؤدى إلى تقليل الجهد الممـارس على النهايـة العصبية وتقليل التوصيل، وبذلك تسـافر الإشـارات العصبية المؤلة بشكل بطىء جدا وقليل أيضا، كما تستقبل الخلايا العصبية المستقبلة للإشارات موجات أقل وإحساسا أقل وتكون النتيجة النهائية انحسار موجة الألم وتراجع الإحساس به».

وتمارس الحجامة طبقا لنظرية أخرى تعرف بنظرية ملزاك و وول، ويطلـق على هذه النظرية: نظرية بوابـة التحكم فى الآلام التى تعتمد أساسـا على إثارة وتحفيز مواضع الألم، إذ إن الإحسـاس بصفة عامة ينتقـل عن طريق موجات عـبر نقاط متعددة توجد فى مسـار الجهاز العصبـى وعند نهايات الألياف العصبية الدقيقة الذى ينقلها بدوره إلى الحبل الشـوكى، وأول من نشـر هذه النظرية هو ملزاك الذى يؤكد أن هذا يتم على مستوى النخاع الشوكى فيما يعرف بنظرية بوابة الألم.

وقد أكد الأستاذ الدكتور محمد كمال عبد العزيز أستاذ بكلية الطب جامعة الأزهر، بالقاهرة، أن الأحشاء الداخلية تشترك مع أجزاء معينة من جلد الإنسـان فى مـكان دخول الأعصاب المغذيـة لها فى النخاع الشـوكى، أو النخاع المسـتطيل، أو فى المخ المتوسـط، وبمقتضى هذا الاشـتراك، فإن أى تنبيه للجلد فى منطقة ما من الجسـم، يؤثر فى الأحشاء الداخلية المقابلة لهذا الجزء من الجلد، وهو ما يعرف برد الفعل الانعكاسى.

وعندما يصل التنبيه إلى المخ عن طريق الأعصاب فإن المخ يترجم هذا التنبيه حسـب مصدره ونوعه، أى يحدد نوع التنبيه، ألماً كان أو لمساً، حرارة أو برودة، ولكن إذا وصل عدد التنبيهات التـى تصل إلى المـخ فى وقت واحد إلى عدد كبير، فإن المخ لا يسـتطيع التمييز بينهم، وعندئذ يتوقف عن العمل، فيلغى الشعور من المنطقة التى زاد فيها عدد التنبيهات.

وفـى حالة الحجامة، تخرج التنبيهات من نهاية الأعصـاب فى المنطقة التى تمارس عليها الحجامـة بأعداد كبـيرة، فيقوم المخ بإلغاء الشـعور من المنطقة ويزول الإحسـاس بالألم، وهذه النظرية مطبقه على كثير من أجهزة العلاج الطبيعى.

والأمر أقرب إلى تفسير الأطباء الأولين لقضية الأخلاط، فالطبيب المصرى القديم بنى معلوماته الطبية العلمية على الحقائق كما ورد فى بردية سميث التى هى مجموعة حالات جراحية تشكل أبحاثـا جراحية لحالات ملموسـة، وبردية إيبرز التى تتعامل مع معظـم الأمراض التى تصيب الجسم البشرى والتى تعامل معها الممارس المصرى بكفاءة علمية عالية، فلم يكن يمتلك الأجهزة

الحديثة للفحص، واستعاض عنها بحواسه ودقة ملاحظته والتفكر فى السبل الناجحة للعلاج والقضاء على الألم.

وقد ذكر ذلك أبقراط بقوله أن الفراعنة قسموا الطب إلى نوعين طب الصوم وهو الامتناع عن أكل بعض الأطعمة، وطب الإخراج أو طب الحجامة عن طريق فتحات يحدثها الطبيب فى الجلد.

«علاج لجعل ندبة الحرق تسود: مغرة حمراء، تصحن مع لبن الجميز، حنظل، أوتيت الظرت أو الحنظل، يصحن ويضمد به، بعد ذلك اعمل قطع الطبيب physicians cutting أى التشريط، كرات مدهوك، فاكهة بسلة، ويضمد به.

والحجامة الحديثة تثبت من المنظور العلمى ما مارسه الطبيب المصرى من فصد الدم تحت الجلد، إذ إنه بتحليل الدماء المستخرجة بالحجامة، وجد أنها تحتوى تقريبا على عشر كرات الدم البيضاء، بينما كرات الدم الحمراء المستخرجة تعتبر كرات هرمة لا تصلح كمكون حيوى للدم.

والحجامة تبقى الحديد داخل الجسم دون أن يخرج مع الدم المسحوب، تمهيداً لاستخدامه فى بناء كرات دم فتية وجديدة، كما أن الكرياتينين المتواجد فى دم الحجامة مرتفع، مما يدل على أن الحجامة تسحب كل الشوائب والفضلات والرواسب الدموية، ويؤدى هذا إلى زيادة نشاط كل الأجهزة والأعضاء.

ومن المعروف أن جسم الإنسان يتوقف عن النمو بعد سن العشرين، فتتركز كرات الدم الهرمة فى منطقة الكاهل أعلى الظهر لعدم وجود مفاصل متحركة ولكثرة الشعيرات الدموية.

وعرف الصينيون الحجامة التى لخصوا مبدءها الرئيسى فى تحقيق التوازن بين كل من الين واليانج، إذ إنه، طبقا للعقيدة المعروفة بالطاو Tao، فإن الطاقة الكونية هى التوازن بين هذين العنصرين، والدم فى الطب الصينى، هو المادة الحيوية التى تتكون من روح الطعام، الذى تهضمه المعدة وتوزع خلاصته بوساطة الطحال، أما القلب فهو المحرك الرئيسى للدم والعروق، أما الكبد فهو يضمن الانسياب الحر للدم ويخزنه ويحافظ على حجمه.

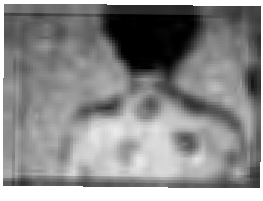

آثار لعملية شفط الدماء أثناء الحجامة

وتعرف مواضع الحجامة فى الطب الصينى بأنها مواضع خاصة على الجلد يتم من خلالها نقل الطاقة الحيوية من الأعضاء الداخلية المختلفة إلى الجلد وبالعكس، ومعناها الحرفى فى اللغة الصينية هو النقل من البئر. وتعتبر عملية شفط الدماء أثناء الحجامة حثا للطاقة الحيوية على الصعود إلى سطح الجلد، وهنا يتم التعادل والتوازن ما بين الين واليانج الذى ينعكس بصورة مباشرة على عمل العضو المريض.

وأكدت الدراسات الحديثة أن الحجامة فى الطب الصينى تعتبر من أفضل الطرق لإحداث الاسترخاء فى العضلات العميقة.

وتذكر بردية إيبرز حالة كدم ناز haematoma، «تعاليم خاصة بنز من وعاء بأى عضو:...

ووجدته أحمر ضاربا إلى الزرقة ومحدبا hemispherical، نتيجة ضربة عصا فبعد عمل سبع عقدات... اعمل له العملية بغاب سوت الذى يستعمل فى العمليات، فإذا نزف كثيرا اكوه بالنار ثم عالجه علاج سحمم».

وهناك أنواع من الحجامة، فالحجامة الجافة تستلزم وضع الكاسات على سطح الجلد فيخرج الدم المزوج بالأخلاط على السطح ويضيع الألم أما الحجامة الرطبة فتختلف عن الجافة بأن يحدث المارس تشريطا خفيفا بالجلد يؤدى إلى إخراج الدم، وهذه العملية تختلف عن فصد الدماء ويحدد لون الدم الحالة المرضية للمصاب، فإن لم يخرج دم من الحجامة فهذا دليل على عدم اعتلال العضو، وإذا خرج دم أحمر فهو دليل على سلامة العضو أيضا، أما إذا كان الدم أسود، فهذه إشارة إلى وجود أخلاط بالدم وتفيد الحجامة فى حالات متعددة منها الصداع المزمن، الآلام الروماتيزمية، تيبس المفاصل والروماتيزم، بعض حالات الضغط المرتفع وغيره ولأهمية الحجامة تدرس الآن بالجامعات الأمريكية وتعتبر علاجا للعديد من الحالات فى معظم العواصم العالمية تحت مسمى الطب البديل أو العلاج الطبيعى وتستخدم علاجات الإبر الصينية نفس الخريطة على مراكز الجسم، ولكن الفارق بين المارستين هو أن الحجامة تحرك الدورة الدموية بخلاف تنبيه مراكز الإحساس التى تحدثها أيضا الإبر الصينية.

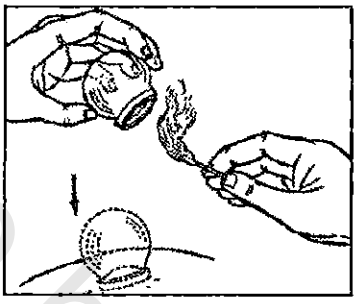

عملية تفريغ الكاسات من الهواء قبل وضعها أعلى الظهر فى حالة الحجامة الجافة التى كانت تمارس فى مصر إلى وقت قريب حتى القرن العشرين.

وقد أكد د.أحمد عبد السميع، رئيس قسم الكبد بمستشفى مصر للطيران: «إن الحديد يوجد فى جسم الإنسان على هيئات مختلفة، منها هيئة الجزئيات الحرة وهى تسبب أكسدة للخلايا فتقلل من مناعتها ضد الفيروس لذلك وجد أن المرضى الذين يوجد لديهم نسبه عالية من الحديد فى الدم تكون استجاباتهم للعلاج أقل من غيرهم. وبعد ذلك أثبتت الأبحاث أن إزالة كميات من الدم من هؤلاء المرضى بصفة متكررة يساعد فى تحسن نسب الاستجابة للعلاج، والحجامة هى نوع من أنواع إخراج الدم أو التخلص منه، وهى معروفة منذ القدم وجاء النبى عليه الصلاة والسلام وأقرها. لكن يجب أن تجرى بطريقه طبية آمنة وتكون نظيفة ومعقمة والمطلوب من علمائنا الأفاضل بدلا من الهجوم على الحجامة، عمل دراسة طبية بالمعايير السليمة لإثبات كفاءة هذه الطريقة من عدمها.

«وبالنسبة للمرضى الذين عالجتهم بالحجامة أقول إن عددهم بسيط ولا يقاس عليه لكن النتائج كانت مذهلة فمرضى الكبد الذين يعانون من فيروس C ولديهم نسبه عالية من الحديد وارتفاع فى الإنزيمات.. والذين أجريت لهم عملية الحجامة بطريقه طبية سليمة بصفة متكررة ازدادت استجابتهم للعلاج بعقار الانترفيرون والريبافيرين بعد أن كانت نسبة الاستجابة لديهم

تكاد تكون معدومة، ومن هنا نرى أن الحجامة يمكن بالفعل أن تساعد فى العلاج جنبا إلى جنب مع المستحضرات الطبية، بل إنها فى حد ذاتها علاجا طبيعيا ليست له أية أضرار جانبية وأنا حين كنت فى ألمانيا علمت أنهم يستخدمونها كإحدى وسائل الطب البديل». نشر فى العدد ٢١٨ من مجلة الناس.

وضع الطبيب المصرى أسس معظم العلاجات وطورها البشر فى الشرق والغرب، مما جعل من الحضارة المصرية القديمة حضارة الإنسانية قاطبة التى تدرجت بالمعرفة واستزادت والطريق مازال مطروقا فى معظم المجالات وممهدا لمزيد من التطور ومزيد من المعرفة المستخلصة من الأبحاث لما كان متبعا ولما سوف يكون مستقبلا ولكن الإنسان المصرى أعلن منذ القدم عن محدوديته تجاه بعض المواقف، بالرغم من لجوئه إلى الأعشاب والمستحضرات الطبية المختلفة، إلا أن للأعشاب دورا محددا وهو تخفيف الألم، بينما السحر أيضا قادر على الشفاء، فقد كان الاعتقاد السائد هو وجود قوى خفية قادرة على إحداث المرض. وهى الميكروبات والفيروسات التى لم يذكرها المصرى إلا بمسمى الأرواح الشريرة، فهى بالنسبة للطبيب المصرى طاقة تتغلغل فى الجسم وتحدث المرض ومهمة الطبيب تنحصر فى الوقاية أولا من هذه الطاقات المختلفة. ثم إبعادها بالدواء، وإذا ما استعصى العلاج، يلجأ لما عرف فيما بعد بأنه السحر.

ولكل من الدواء والسحر أهميته فى العلاج كما ورد فى بردية إيبرز: «يعمل السحر مع الدواء كما يعمل الدواء مع السحر» ويتلخص هذا السحر فى الأوراد المختلفة التى تتلى فى مواضع محددة.

❑❑❑